.. ولكن للشهادة وجها آخر

المطران جورج خضر

مرة رأيت وجهه الاسمر وكأنه طالع من البداوة ، وليد للصحراء قديم . ودار حديث بيننا عن الكنيسة التي كان يشيدها في القدس وعن الفن البيزنطي الذي أراده حلة لها. موضوع طقوسي جمالي كان يقربنا ولم يكن يدور في خلدي انه يتعاطى الشأن القومي . ولكن توقيفه ومحاكمته جعلاه موضوعيا واحدا من كوكبة رهابين كانوا في الشرق ، قديمه وحديثه ، روادا لانتفاضات الوطن كأن الصدق يحتاج الى الخروج من الهيكل لان الهيكل في تأهبه كوني .

من يكون الرجل ؟ هل هذا مهم ؟ كل مولود يولد مرتين من أمه ومن السماء على قدر ما تناثرت فيه ومضات الحقيقة . وتولد بنضالها دنى . فالاسقف صار مقاوما فدخل برعاية قومه وغير قومه من الباب الواسع . والراعي ، في الكتاب ، ضحية . والذبائح يزكيها الله . الا تعني لفظة كبوجي التركية حاجب السلطان ؟ ان هذا الاسقف العربي بدا ، في أيام من كفاحنا ، مدخل الناس الى سلطان الحرية .

كان هاجس هذا الحبر الشرقي أن تبقى المسيحية العربية في القدس . هذه المسيحية كان يراها في اضمحلال حتى النزاع ويتألم لذلك ويصلي . ومعنى ذلك كثير . فالمسيحية المقدسية عربي شعبها ، أجنبية رئاساتها . ولكن أجنبيا كبيرا هو المونسنيور لويدجي ، السفير البابوي السابق ، تكلم عن الرابط العضوي بين المسيحية في فلسطين والثقافة العربية .وكان دور الخيرين من الاحباء أن يؤكدوا أهمية الدور الذي تمثله هذه النصرانية المشرقية العربية اللسان في استمرار الكنيسة في الارض المحتلة . فانطلاقا من فلسطين مصلوبة تستطيع الكنيسة الوطنية ان تؤكد قيامة الكل . مشاركة الاوجاع هي الناطقة . وليس الاجنبي كالعربي . ولذلك كانت شهادة أسقف كاثوليكي سوري هي الشهادة التي كنا نتمنى لو أداها الاساقفة التي شاءت مفارقات التاريخ أن يعيشوا على الارض الفلسطينية وهم من غير أبنائها .

ومن هذا المنظار يتجلى لنا أن الحركة المسكونية التي تحاول أن تدني المسيحيين بعضهم الى بعض عقيدة ، وعملها محكها ، في بلادنا ، الاخلاص لقضية هي أوسع أفقيا من الكنائس اذا انعزلت أو تقاربت . فقد تدخل الكنائس في مسعى وحدوي بسبب من حيطة او خوف . وفي هذه النفسية تسمي اتحادا ذلك الشأن الذي هو في حقيقته انقسام . أليس كل حذر من هذا النوع تباعدا عن الانسان وتقوقعا دون هذه المغامرة الكونية الكبرى التي تجعلنا في تلاق مع الكل ؟ « الاتحاد » قد يكون خاليا من النفحة الانسانية الكبرى المجبولة بالطمأنينة التقاربية المسيحية لا برهان على صدقها الا في تعهد واحد الشأن الارض، لخلافة الله على الارض .ولذلك، المسيحية لون من الوان